الأعمال.. سرائرُ خفيّة

موجز في تفسير سورة الطارق

سليمان بيضون

*** السورة السادسة والثمانون في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد سورة «البلد».**

*** سُمّيت بـ«الطارق» لابتدائها بعد البسملة بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾.**

*** آياتها سبع عشرة، وهي مكيّة، وفي الحديث النبويّ الشريف أنّ مَن قرأها «أعطاهُ اللهُ بِعددِ كلِّ نجمٍ في السّماءِ عشرَ حسنات».**

*** ما يلي موجز في التعريف بهذه السورة المباركة اخترناه من تفاسير: (نور الثّقلين)، و(الميزان)، و(الأمثل).**

«**الطَّرْقُ**» في الأصل هو الضَّربُ بشدّةٍ يُسمَعُ له صوت، ومنه المطرَقة، والطريق، لأنّ السّابلة تطرقها بأقدامها، ثمّ شاع استعماله في سلوك الطريق، ثمّ اختُصَّ بالإتيان ليلاً، لأنّ الآتي بالليل في الغالب يجد الأبوابَ مغلقةً فيطرقها ويدقّها. ثمّ شاع «**الطّارق**» في كلّ ما يَظهر ليلاً، **والمراد بـ«الطّارق» الذي سُمّيت به السورة، النّجمُ الذي يطلُع بالليل.**

ويفسّر القرآن الكريم «**الطّارق**» بقوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾، أي «النجم اللامع»، الذي مع علوّه الشاهق كأنّه يريد أن يثقب سقف السماء، وكأنّ نوره المتشعشع يريد أن يثقب ستار الليل الحالك، فيجلب الأنظار بميزته هذه. ويأتي عن أمير المؤمنين عليه السلام سببُ التسمية، وأنّه نجمٌ بعينه.

محتوى السورة

تدور مواضيع السورة حول محوَرين:

١) المعاد والقيامة.

٢) القرآن الكريم وأهمّيته.

وتبتدئ بجملة أقسام [جمع قَسَم] تبعث على التأمّل والتفكير، ثمّ تشير إلى المراقِبين الإلهيّين على الإنسان. ثمّ تنتقل لإثبات إمكانية المعاد من خلال الإشارة إلى كيفية خلْق الإنسان، فالقادرُ على خلقِه من نطفة، أقدرُ على إعادة حياته بعد موته. وتعرض السورة بعد ذلك معالم المرحلة التالية من خلال تبيان بعض ملامح يوم القيامة، ثمّ تذكر جملة أقسامٍ أُخَر لتأكيد عظَمة القرآن الكريم، وتختم بإنذار الكفّار بالعذاب الإلهي.

ثواب تلاوتها

*** عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «مَن قَرأ سُورة (الطارق) أَعطاهُ اللهُ بِعدَدِ كلّ نجمٍ في السّماءِ عشرَ حسَنات».**

*** وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن كانت قِراءتُه في الفريضةِ بـ(والسّماء والطّارق)، كانَ لهُ عندَ اللهِ يومَ القِيامةِ جاهٌ ومَنزلةٌ، وكان مِن رُفقاءِ النّبيّين وأصحابِهم في الجنّة».**

شرح وتفسير آياتٍ من السورة

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ الآيات: ١-٤.

*** سُئل أميرُ المؤمنين عليه السلام عن «الطارق»، فقال: «هو أحسنُ نَجمٍ في السّماءِ، وليسَ تَعرفهُ النّاسُ، وإنّما سُمّيَ الطّارق لِأنّه يَطرقُ نورُهُ سماءً سماءً إلى سبعِ سَماوات، ثمّ يَطرقُ راجعاً حتّى يَرجعَ إلى مَكانِه».**

* سأل أحد المنجّمين الإمام الصادق عليه السلام عن معنى كون النجم ثاقباً، فقال عليه السلام: «**لأنّ مَطلعَهُ في السماءِ السابعة، وأنّه ثَقَبَ بِضوئِه حتّى أضاءَ السماءَ الدُّنيا، فمِن ثَمّ سمّاه اللهُ: النّجم الثاقب**».

* قال المرجع الديني الشيخ مكارم الشيرازي: «جواب القسم بـ(السماء والطارق)، هو قولُه تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، أي يحفظ عليه أعماله، ويسجّل كلّ أفعاله ليوم الحساب، كما جاء في الآيات من سورة (الانفطار): ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

والعلاقة ما بين المقسوم به وما أقسم له وثيقة، حيث إنّ السماء العالية والنجوم التي تتحرّك في مسارات منظّمة دليلٌ على وجود النّظم والحساب الدقيق في عالم الوجود، فكيف يمكن أن نتصوّر بأنّ أعمال الإنسان – دون باقي الأشياء – لا تخضع لهذه السُّنّة، لتبقى سائبة بلا ضبط وتسجيل وليس عليها من حافظ؟!

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ الآية:٩.

* قال معاذ بن جبل: سألت رسولَ الله صلّى الله عليه وآله: ما هذه السرائر التي ابتلَى اللهُ بها العبادَ في الآخرة؟

فقال صلّى الله عليه وآله: «**سَرائرُكم هي أعمالُكم؛ مِن الصّلاةِ، والصّيامِ، والزّكاةِ، والوُضوءِ، والغُسلِ من الجَنابةِ، وكلّ مفروض، لأنّ الأعمالَ كلّها سرائرُ خفيّة، فإنْ شاءَ الرّجلُ قال: صلّيتُ، ولم يُصَلِّ، وإنْ شاءَ قال: تَوضّأتُ، ولم يتوضّأ..**».

* قال العلّامة الطباطبائي في تفسير الآية: «السّريرة: ما أسرّه الإنسانُ وأخفاه في نفسه. والبلاء: الاختبار والتعرّف والتصفّح. فالمعنى: يوم يُختَبر ما أخفاه الإنسان وأسرّه من العقائد وآثار الأعمال، خيرها وشرّها، فيميَّز خيرُها من شرّها ويُجزى الإنسان به، فالآية في معنى قوله تعالى: ﴿..وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ..﴾ البقرة:٢٨٤».

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ الآية:١٣.

* الإمام الصادق عليه السلام: «**القرآنُ يَفصلُ بينَ الحقِّ والباطِلِ بِالبَيانِ عن كلِّ واحدٍ منهما**».

شجرة طوبى

صومُ شعبان طهارة من الذنوب

* عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «**شَعبانُ شَهْري، ورَمضانُ شَهرُ اللهِ، فَمَنْ صامَ يَوماً مِنْ شَهرِي كُنتُ شَفِيعَهُ يومَ القِيامةِ، وَمَنْ صَامَ يومينِ مِنْ شَهري غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقدّمَ مِنْ ذَنبِهِ، وَمَن صَامَ ثَلاثةَ أيام مِنْ شَهرِي قِيلَ لَهُ: (طَهُرْتَ مِن ذُنوبِك) استأنِفِ العمَل**».

* عن الإمام زين العابدين عليه السّلام: «**..أُقْسِمُ بِمَنْ نَفْسِي بِيدِهِ، لَقَدْ سَمِعتُ أبي الحُسَينَ عليه السّلام يقولُ: سَمِعْتُ أمِيرَ المُؤمِنينَ عليه السّلام يقولُ: مَنْ صَامَ شَعْبانَ حُبّاً لِرَسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتَقَرُّباً إلى اللهِ، أحَبَّهُ اللهُ وقَرَّبَهُ إلى كَرامَتِه يومَ القِيامَةِ، وأوْجَبَ لَه الجَنَّةَ**».

* عن الإمام الصّادق عليه السّلام لبعض أصحابه: «**حُثَّ مَنْ فِي ناحِيتِك على صَوْمِ شَعْبان**».

(الحرّ العاملي، وسائل الشيعة)

الغَيب.. يومُ القائم عجل الله فرجه الشريف

من الآيات المفسَّرة بالإمام المهديّ عليه السلام

العلامة الشيخ علي الكوراني

في الآيات القرآنية المباركة مؤيّداتٌ عديدة لعقيدة المسلمين المتواترة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في المهديّ الموعود الذي يملأ الله تعالى به الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تمتلئ ظُلماً وجَوراً.

يبقى أنّ استقراء مفردات هذه العقيدة في ثنايا الآيات المباركة منوطٌ بمن يفهم القرآن حقّ فهمه، وهم أهل بيت رسول الله، أعدالُ الكتاب العزيز وقرناؤه بنصّ حديث الثّقلين المجمع عليه بين المسلمين.

هذه المقالة منتخبة من الجزء الخامس من (معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام)، الصادر عن «مؤسّسة المعارف الإسلامية» في قمّ المقدّسة، بإشراف العلامة الشيخ علي الكوراني، وقد ارتأينا، رعايةً للاختصار، حذف مصادر الروايات التي أوردها سماحته بالتفصيل من مصنّفات الفريقين.

«شعائر»

المؤمنون بالغَيب

قوله تعالى في الآيات الثلاث الأُوَل من سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾.

* عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله من ضمن خبرٍ طويلٍ في إسلام جُنْدَب بن جُنادة اليهوديّ، (هو غير الصحابيّ الجليل أبي ذر الغفاريّ، وفي بعض المصادر جندل بن جنادة).

قال جندب: «..فأخبِرني بالأوصياء بعدك لأَتمسّك بهم.

فقال صلّى الله عليه وآله: **يا جُندب، أوصيائي مِن بعدي بِعددِ نُقباءِ بني إسرائيل.**

فقال: يا رسول الله، إنّهم كانوا اثنَي عشر، هكذا وجدنا في التوراة.

قال: **نعم، الأئمّةُ بعدي اثنا عشَر.**

فقال: يا رسول الله، كلّهم في زمنٍ واحد؟

قال: **لا، ولكنّهم خَلَفٌ بعدَ خلَفٍ**... (إلى قوله صلّى الله عليه وآله) **فإذا انقَضتْ مدّةُ عليٍّ (الهادي عليه السلام)، قام بالأمر بعده الحسنُ (العسكريّ عليه السلام) ابنُه يُدعى بالأمين، ثمّ يَغيبُ عنهم إمامهم.**

قال: يا رسول الله، هو الحسنُ يغيب عنهم؟

قال: **لا، ولكن ابنُه الحُجّة**... ثمّ تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا..﴾.

فقال جندب: يا رسولَ الله، فما خوفُهم؟

قال: **يا جُندب، في زمنِ كلّ واحدٍ منهم سلطانٌ يَعتريه ويُؤذيه، فإذا عجّل اللهُ خروجَ قائمِنا يملأُ الأرضَ قِسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ جَوراً وظُلماً.**

ثمّ قال عليه السلام: **طُوبى للصّابرين في غَيبتِه، طوبى للمتّقينَ على محجّتِهم، أولئك وَصَفَهم اللهُ في كتابه، وقال:** ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ..﴾.

وقال: ﴿..أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾...».

عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ..﴾: «مَن أقرَّ بقيامِ القائمِ أنّه حقّ»

* عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير الآية الثالثة من سورة البقرة: «**الغَيب: يومُ الرّجعةِ، ويومُ القيامةِ، ويومُ القائِم؛ وهي أيّام آلِ محمّدٍ عليهم السّلام.. وإليها الإشارةُ بقوله تعالى: ﴿..وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ..﴾، فالرجعةُ لهُم، ويومُ القيامةِ لهُم، ويومُ القائمِ لهم وحُكمُه إليهم، ومُعوَّل المؤمنينَ فيه عليهم**».

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «..**هُم المُتّقون الّذينَ يؤمِنونَ بِالغَيبِ، وهو البَعثُ والنُّشورُ وقِيامُ القائِم، والرّجعة..**».

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**المتّقون: شيعةُ عليٍّ عليه السّلام، والغَيب: فهو الحُجّةُ الغائِب، وشاهدُ ذلك قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾**».

* وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ..﴾ قال: «**مَن أقرَّ بقيامِ القائمِ أنّه حقّ**».

لقاء المهديّ عليه السلام بأصحابه في مكّة

قوله تعالى في الآية الثانية والستين من سورة النمل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

* رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «**يكونُ لِصاحبِ هذا الأمر غَيبةٌ في بعضِ هذه الشّعاب، ثمّ أَوْمَأ بِيدِه إلى ناحية ذي طُوَى [من أودية مكّة المكرّمة]، حتّى إذا كان قبلَ خروجِه بِليلتَين، انتَهى المَولى الذي يكونُ بين يديه حتّى يَلقى بعضَ أصحابِه، فيقول: كَم أنتُم هاهنا؟**

فيقولون: نحوٌ من أربعين رجلاً.

فيقول: كيف أنتَم لو قد رأيتَم صاحبَكُم؟

فيقولون: والله لو يَأوي بنا الجبال لآوَيناها معه...

ثمّ قال أبو جعفر (الباقر عليه السلام): والله لَكأنّي أنظرُ إليه وقد أَسندَ ظَهرَه إلى الحَجَر، ثمّ يَنشدُ اللهَ حقَّه، ثمّ يقول:

يا أيُّها النّاس، مَن يُحاجّني في اللهِ فأنا أَوْلى النّاسِ بِالله، ومَنْ يُحاجّني في آدم فأنا أَوْلى النّاسِ بِآدم.

يا أيُّها النّاس، مَن يُحاجّني في نوح فأنا أَوْلى النّاسِ بِنُوح.

يا أيُّها النّاس، مَن يُحاجّني في إبراهيم فأنا أَوْلى النّاسِ بِإبراهيم.

يا أيُّها النّاس، مَن يُحاجّني في موسى فأنا أَوْلى النّاسِ بِموسى.

يا أيُّها النّاس، مَن يُحاجّني في عيسى فأنا أَوْلى النّاسِ بِعيسى.

يا أيُّها النّاس، مَن يُحاجّني في مُحمّدٍ فأنا أَوْلى النّاسِ بِمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

يا أيُّها النّاس، مَن يُحاجّني في كتابِ الله، فأنا أَوْلى النّاسِ بِكتابِ الله.

ثمّ ينتهي إلى المقام فيصلّي عندَه ركعتَين، ثمّ يَنشد اللهَ حقّه.

قال أبو جعفر عليه السلام: هو واللهِ المُضطرّ في كتاب الله، وهو قولُ الله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ..﴾». (...)

* وعنه عليه السلام: «هذِهِ نَزلت في القائِم عليه السّلام، إذا خَرجَ تعمَّم وصلّى عند المَقامِ، وتضرّع إلى ربِّه، فلا تُرَدُّ لهُ رايَةٌ أبداً».

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: «نزلَتْ في القائِم مِن آلِ مُحمّدٍ عليهم السّلام، هو واللهِ المُضطرّ إذا صلّى في المَقامِ ركعتَين ودعا الله فأجابَه، ويَكشف السّوء، ويَجعلهُ خليفةً في الأرض».

* وعنه عليه السلام: «هو واللهِ القائِم إذا قام في الكعبةِ وصلّى ركعتَين ودعا الله، فهذا مِمّا لم يَكُنْ بعد، وسيَكونُ إنْ شاءَ الله».

شجرة طوبى

صلوات الليلة الأولى

أربع صلوات مرويّة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، يُؤتى بها في الليلة الأولى من شعبان، مع ملاحظة أن الصلاة الأخيرة جزء من عمل مقترن بالصيام ويبدأ من الليلة الأولى.

* **لدفع الشرور وغفران الكبائر:** «مَن صلّى أوّلَ ليلةٍ من شعبان مائة ركعة، يقرأ في كلّ ركعة (فاتحة الكتاب) مرّة، و(قل هو الله أحد) مرّة، فإذا فرغَ من صلاته قرأ (فاتحة الكتاب) خمسين مرّة.. والّذي بَعثَني بالحقّ نبيّاً أنّه إذا صلّى هذه الصّلاة وصامَ العبدُ، دَفَع اللهُ تعالى عنه شرَّ أهلِ السّماء وشرَّ أهلِ الأرضِ وشرَّ الشّياطين والسّلاطين، ويَغفرُ له سبعينَ ألف كبيرة، ويَرفعُ عنه عذابَ القبر، ولا يروِّعه منكرٌ ولا نكيرٌ، ويَخرج من قبرِه ووَجهُه كالقمرِ ليلةَ البدرِ، ويمرُّ على الصِّراط كالبرق، ويُعطى كتابه بيَمينه».

* **ثواب الشهداء:** «مَن صلّى أوّلَ ليلةٍ من شعبان اثنتَي عشرة ركعة، يقرأ في كلّ ركعة (فاتحة الكتاب)، و(قل هو الله أحد) خمس عشرة مرّة، أعطاهُ اللهُ تعالى ثواب اثنَي عشر ألف شهيدٍ، وكَتَب له عبادة اثنتَي عشرة سنة، وخرج من ذنوبه كَيومِ وَلَدَته أمُّه، وأعطاهُ اللهُ بكلّ آيةٍ في القرآن قصراً في الجنّة».

* **ثواب الصدّيقين:** «مَن صلّى أوّل ليلةٍ من شعبان ركعتَين، يقرأُ في كلّ ركعةٍ (فاتحة الكتاب) مرّة، وثلاثين مرّة (قل هو الله أحد)، فإذا سلَّمَ قال: (أللّهُمَّ هذا عَهدي عندَك إلى يوم القيامة)، حُفِظَ من إبليسَ وجنودِه، وأعطاهُ اللهُ ثوابَ الصِّدّيقين».

* **للتأمين على المصير:** «مَن صام ثلاثة أيّامٍ من أوّل شعبان ويقومُ لياليها، وصلّى ركعتَين [في اللّيالي الثّلاث]، في كلّ ركعة بـ (فاتحة الكتاب) مرّة، و(قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرّة، رفع اللهُ تعالى عنه شرَّ أهلِ السّماوات وشرَّ أهلِ الأرضين وشرَّ إبليسَ وجنودِه وشرَّ كلِّ سلطانٍ جائرٍ، والذي بعثَني بالحقِّ نبيّاً أنّه يَغفرُ اللهُ له سبعينَ ألف ذنبٍ من الكبائر في ما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ، ويَدفعُ اللهُ عنه عذابَ القبرِ ونَزْعَه وشدائدَه».

(السيّد ابن طاوس، الإقبال)